Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فتخلع عليها دلالات جديدة بأثر رجعى، تصف لحظة ولادتها مثلا: «انطلقت الصرخة من فوق السرير النحاسىّ الأصفر ذى الأعمدة الأربعة، صرخة واحدة لامرأة فى المخاض تبعها صمت ثقيل طويل كأنما ماتت الأم والمولود معا، توقفت الأنفاس فى حلوق الحشد المجتمع فى الصالة الخارجية، عائلة شكرى بيه سليلة المجد حتى طلعت باشا فى اسطنبول، وعائلة الأب السعداوى من كفر طلحة، بالوجوه الكالحة المتربة والأقدام الحافية المشققة، رائحة العرق والطين فى الجلاليب البالية تختلط برائحة العطور الفرنسية فى الفساتين الحريرية الهفهافة.. توقفت أنفاسهم كما توقفت أنفاس «ستى الحاجة» ـ كما حكت لى فى ما بعد.. لم تنطلق الزغرودة من فم أم محمد الداية، ولم تفتح الأم جفونها لترى ماذا ولدت، وكنت أنا بالمصادفة ذلك الشىء المولود، قلبته الداية بين يديها ممصمصة شفتيها فى حسرة ثم ألقت به داخل طشت الماء ليغرق.. ربما فتحت أمى نصف عين فرأت بشرتى الزرقاء الداكنة السمرة مثل آل السعداوى الفلاحين فأطبقت جفونها» هل يكون هذا المزج العنصرى الصارخ بين سلالة تركية وأخرى ريفية مصرية هو الذى أورث الطفلة فى قرارة نفسها ضغينة للعرق الذى أكسبها السمرة وحرمها من الجمال؟ فتركز هذا الحنق على شخصية الأب ومن ورائه جميع الرجال، كما تراءت من ورائه مشاعر التمييز العنصرى بين الأتراك والفلاحين، ولم تغفر للأب ثقافته ولا دمامته كمفتش للغة العربية يعلمها الأدب والشعر ويدخلها مدرسة انجليزية تضعها فى مستوى طبقى رفيع، لم يغفر له كل ذلك عند ابنته، فهو فلاح مهما تعلم، يحرمها من حلم الطفولة ـ البيانو ـ فتحققه لابنتها بعد نيف وعشرين عاما فى لحظة تصفها بأنها أصبحت حلما تتوارى إلى جواره كل الحقائق. وانتشر هذا السخط من الأب إلى جنس الرجال فأعلنت الكاتبة عليهم الحرب وصبغت طفولتها بهذا التفسير اللاحق لتجعل منها أسطورة تنسج سنوات العمر خيوطها الكئيبة.

لكن شجاعة البوح الجارح تصل إلى ذروتها لحظة الكتابة، عندما يهيئ لها مقامها بعيدا عن العالم العربى والمناخ الإسلامى، أستاذة زائرة وضيفا على جامعة «ديوك» فى ولاية «نورث كارولينا» الأمريكية مناخا مواتيا لنفض الجراب وكشف